DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.154
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

اللّغة الشّعريّة في ديوان "قوافٍ على حواف العمر" للشّاعر عبد الله سكريّة (1)

أ. فاطمة مهدي البزال
الجامعة اللبنانيّة ـ لبنان
الإيميل : bazzalfatima@gmail.com

الملخص

لكلّ شاعر أسلوبه الذي يميّزه عن غيره وكما قال بوفون :" الأسلوب هو الرجل " ، بمعنى أننا نستطيع معرفة الكاتب من خلال كتاباته ومفرداته التي يختصّ بها دون سواه ، فيترك بصمته الفريدة في ما يكتب لنستجليَ رؤاه العميقة ونظرته لكلّ ما يحيط به وما يثيره من قضايا فكرية واجتماعية وفنيّة .والشاعر عبد الله سكرية عبّر في ديوانه الموسوم بـ " قوافٍ على حواف العمر " عمّا يختلج به صدره من مشاعر وأحاسيس مازجًا بين غزله وبين الطبيعة ليضفي على القصائد جمالية خاصّة ظهرت من خلال أسلوبه "السهل الممتنع " حيث نوّع بين الأساليب الإنشائية والحقول المعجميّة التي تخدم رؤيته الفنيّة ، وعمل على الإفادة من طواعية اللغة العربية فقدّم وأخّر ، وحذف وأثبت ، ممّا ترك للمتلقي مساحة واسعة من التفاعل مع هذا الديوان الزاخر بالحياة والجمال .

الكلمات المفتاحيّة: الاسلوب، الحقول المعجمية، اللغة الشعرية، الجمالية .

(1) أستاذ وشاعر لبناني

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.154
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

The Poetic Language in the Book "Rounds on the Brinks of a Life" By the Poet Abdullah Sukkariyya

Fatima Mahdi Al-Bazzal
Lebanese University - Lebanon
Email: bazzalfatima@gmail.com

ABSTRACT

Every poet has his own style that distinguishes him from others, and as Buffon said: The method is the man," in the sense that we can know the writer through his writings and vocabulary that he specializes in only. Every poet leaves his unique mark in what he writes to infer his deep visions and his view of all that surrounds him and explore the intellectual, social and artistic issues that he raises. In his diwan (book), marked with "Rhymes on the Edges of Lifetime", the poet Abdullah Sukariya expressed the feelings that emanate in his chest and mixed between his flirtation and nature. Thus, he gave the poems a special aesthetic that has emerged through his style, "Easy and Abstaining", where he diversified between construction methods and lexical fields. He chose the lexicon that serves his artistic vision, and worked to benefit from the voluntary Arabic language. He presented, delayed, deleted and proved his ideas, leaving for the recipient a wide area of interaction with this diwan (book) full of life and beauty.

Keywords: style, lexical fields, poetic language, aesthetic.

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.154
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

مقدّمة :

قوافٍ على حوافّ العمر ، ديوان جديد يُطالعنا به الشّاعر عبدالله سكريّة ليضعنا أمام ترانيم جديدة في الحبّ ، مدادها ممّا يعصف به الوجدان من مشاعر وأحاسيس، وحروفها مستمدّة من الطّبيعة ، ومن كل شيء جميل ينبض بالحياة ويتفاعل معها في إكسير لا متناه من العذوبة والجمال .

هذا الدّيوان بقصائده يُشكّل مرحلة جديدة من حياة الشّاعر ، حيث استقام له الحرف وصار مطواعًا بين يديه ،يُجيّر القوافي كيفما شاء ليبلغ الشّعر منتهاه .في هذا الديوان نقع على ما تختزنه ذاكرة الشّاعر من مواقف ضمّنها رؤيته للحياة . كيف لا وهو ابن الحياة وابن البيئة التي عاش فيها ،فبقي محافظًا على شباب الرّوح وإن خانه الجسد ، تتفتّق قصائده عن أكمام زهرٍ وطبيعة خلابة تمثّل ملجأً لكلّ عاشق هائمٍ في بحور الوجد .فكيف عبّر الشّاعر عن رؤاه في هذا الديوان ؟ وهل توافقت الصّياغة الفنيّة لتتلاءم مع طروحاته الفكريّة والوجدانيّة في هذا الديوان ؟

المنهج المتّبع

سأعتمد في دراستي هذه على المنهج الأسلوبي لما له من دور في الكشف عن أدبيّة النّصّ وجماليّاته لأنّ الغاية من المقاربة الأسلوبيّة هي الوصول إلى أغوار النّصّ الشّعري ، للوقوف على عتباته المظلمة وعناصره الفكريّة ، وشبكة علاقاته بالعناصر الوجدانيّة التي يصنع تضافرها وحدة دلاليّة . لكلّ نصٍّ قواعده الأسلوبيّة المميّزة الّتي بموجبها يتحوّل الأثر الأدبيّ إلى أثر جماليّ . وهذا المنهج يتيح للدّارس أن يختار من هذه الظواهر الأسلوبيّة ما هو متميّز ،والتّميّز يكون عندما تقوم هذه الظّاهرة بوظيفتها وهو إبراز جمال الأثر ، وهذا ما يجعلنا نتعامل مع النّص بعلميّة ، ولكن من دون الانغلاق الّذي يجعل التّحليل جافاً (فضل، صلاح ،1992 ،ص 14).

ومن بواعث اختيار هذا المنهج ما رآه **ريفا تير**(باحث ألسني، وناقد بنيوي أميركي) في الأسلوب من "قوة ضاغطة تتسلّط على حساسيّة القارئ بوساطة إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام وحمل القارئ على الانتباه إليها ، إذ تتمثل في هذه القوّة عمليّة الإقناع والإمتاع معًا ، ناهيك عن الإثارة التي من خلالها يمضي الشّخص المُثار في اتّجاه ردود الفعل المثار(ميشال، ريفاتير،1996، ص10) . فالأسلوبيّة " تتحدّد بكونها البعد اللّساني لظاهرة الأسلوب طالما أنّ جوهر الأثر الأدبي لا يمكن النّفاذ إليه إلّا عبر صياغته الإبلاغيّة "(المسدي ، عبد السلام،1993 ، ص10). وكذلك تتحدّد الأسلوبيّة بدراسة الخصائص اللّغويّة التي بها يتحوّل الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيريّة والجماليّة "(م.ن ، ص 35).

والأسلوبيّة ترسم تأمّلها لعالم النّصّ رسماً تتعدّد فيه القراءة ،فهي تتأمّل البنية التّركيبيّة النّحويّة ، وتتأمّل البنية الصّوتيّة والإيقاعيّة والمعجميّة ، وتتأمّل البنية الدّلاليّة الجماليّة ، ومن دون تجاهلٍ للسّياق وما يكتنزه من علاقات اختياريّة وانحرافيّة . والمنهج الأسلوبي يعتمد على علوم اللّغة المختلفة ، وهذا يعني البحث عن جميع الخصائص الأسلوبيّة من الحرف حتى الجملة. وسنتوقف عند بعض الظواهر الأسلوبية في الديوان الآنف الذكر لتبيان دلالاتها ومحاولة الدخول إلى العالم الجوّاني للشّاعر .

1 ـ أصالة الانتماء لهمّ الأمة الجمعي في ديوان "قوافٍ على حواف العمر":

الشّاعر عبد الله سكريّة معروف بانتمائه العروبيّ وحبّه للغة الضّاد الّتي برع في تدريسها وإيصالها للأجيال برقة وبكثير من الصبر وطول الأناة . لذلك تصدّرت قصيدة " أنا والشّعر " قصائد ديوانه ، وغدتْ نشيداً يحمل في طيّاتهِ أفكار الشّاعر المعبرة عن قناعاته ، والغارقة حدّ التّماهي مع ذاته المنطوية على عشقٍ أبديّ للغة باتت تشكّل رابطًا معنويًّا للتوحّد بعدما انفصمت باقي العُرى وبلغت مرحلة الامّحاء فيقول :

فها لغتي ، أوافيها بعشقٍ
بنثرٍ جئتُ أو شعرًا أميلُ
عروبتنا تُنادينا ، فنرقى
بها نسمو وتزدانُ العقولُ
بها قرآننا قد خطّ ذكرًا
بهدي خُطّ والهدي جليلُ
بها أشعارنا مرّتْ بدهرٍ

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.154
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

هو الدّيوانُ إلهامٌ أصيلُ (سكرية ، عبد الله ،2018 ، ص 9)

فاللغة العربيّة لغة القرآن الكريم و قد احتوت كلّ تراثنا وآدابنا الشعريّة منها والنثريّة، فالشّعر " ديوان العرب " كما قيل ، وحولها نتوحّد كأمة تؤمن بالعروبة، وتؤمن بأهميّة المحافظة على اللغة العربيّة لأنّها تجمعنا وتبقينا تحت عباءتها . ففي قوله " عروبتنا تُنادينا " جملة اسميّة تدلّ على الاستمرارية والدّوام ، وإذا كانت " العروبة " هي الّتي تنادي فهذا يعني أنّنا أصبحنا في زمن يجب أن نراجع فيه حساباتنا بدقة ، وهذا يعني أنّنا معنيون جميعًا بتلبية النّداء . إنّ استخدام الشّاعر ضمير المتكلم بصيغة الجمع " تنادينا " يدلّ على أنّ هذه القضيّة تعني الجميع ، وبذلك يكون الشّاعر قد خرج من نطاق الفرديّة الضّيّقة إلى نطاق أوسع وأرحب ، إلى نطاق أمّة معنيّة قبل غيرها بتلبية نداء العروبة . وما تقديم لفظة "بها " وتكرارها في هذه الأبيات إلّا صدى لما يختزن الشّاعر في وجدانه من قناعات وحبّ للغة الضّاد الّتي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالعروبة ، حيث لا انفصام لعُرى الاتصال بينهما . فالشّاعر الملتزم لا يؤطّر نفسهُ ولا يحدّها بل ينطلق من الذات للتّعبير عن قضايا أمّته ، فهو لم يُخلق ليجلس ويراقب ما يحدث من برجه العاجيّ ويعيش نرجسيّته بل لينخرط في هذه الهموم محمّلًا شعره ومواقفه هذه الرؤى التي تصطخب في داخله .

2ـ حضور الحقول المعجميّة ودلالاتها الفنيّة في ديوان "قواف على حواف العمر "

في هذا الدّيوان الموسوم بـ " قوافٍ على حوافّ العمر " نجد حضورًا طاغيًا لحقلين معجميين وهما حقل الحبّ وحقل الطّبيعة . ولا عجب في ذلك ، فالرومانسيون كانوا يلجأون إلى الطّبيعة في التّعبير عن حبّهم وكانوا يرون في عناصرها امتدادًا لما يجول في خواطرهم من مشاعر وأحاسيسَ . لذلك نرى صوت الشّاعر قد وحّد بين الطبيعة وعناصرها وبين مشاعره ، فاستدعى المفردات من كِلا الحقلين ، وألبسها لبوسَ الصّياغة الفنيّة الجميلة بأسلوب " سهل ممتنع " ليصل بالقارئ إلى نوع من الدّهشة لا يفيق منها إلا وقد امتلأ عذوبة وجمالًا . فممّا قيل :" **الأسلوب هو الرّجل** " . ونحن عندما نقرأ للشّاعر عبد الله سكريّة نعرف أسلوبه من خلال مفرداته وتعابيره التي طبعها بطابعه الخاص المتميّز .

أـ حقل الطّبيعة وتجلياته الفنيّة

الطبيعة ملهمة الشّعراء ، فمنذ أن وُجد الإنسان بدأ صراعه مع الطّبيعة فحاول التأقلم معها ، والاستفادة منها مسخّرًا إياها لتحقيق أهدافه . لذلك كانت علاقته بها تتأرجح ما بين مدّ وجزر . فاستفاد من نجومها في سفره ، ومن كهوفها في سكنه ، ومن الكائنات الحيّة في تنقلاته وملبسه ومأكله. وعندما أحسّ بغضبها ألّهها وعبد مظاهرها ليأمن شرّها . وقد تأثر شعراء اليونان قديمًا بالطّبيعة المحيطة بهم ، وخاصة بالجبال الشاهقة في اليونان التي ألهبت الخيال الشعري في هوميروس وغيره من شعراء اليونان، وراح يستعين بآلهة الشعر الساكنة في جبال الأولمب لتملي عليه إلياذته الخالدة، لقد جعل الفكر اليوناني هذه الجبال مقراً للآلهة وللأساطير التي تفرعت عنها، والبحر نفسه كان مغرياً لخيال الشاعر اليوناني القديم أيضاً. أما الشاعر العربي فقد ألهته الصحراء بمساحاتها المترامية والخالية من الغرائب عن تصور عوالم نائية، فكان أسيرًا لما تعكسه من صور ماديّة حرص على دمجها في وجدانه، والتّعبير عنها برهافة حسّه ، فكان وصف الأطلال والخيل وتشبيه الحبيبة بالغزال، حتى إذا ما تطوّرت الحياة تطوّرت النظرة إلى الطّبيعة، وما وصْف أبي تمام للرّبيع، ووصف المتنبي لشعب بوّان إلا نتيجة التأثر بجمال الطّبيعة وانعكاسها على الحال الوجدانيّة للشّاعر حيث رقّت الحواشي وانسابت عذبة بهيّة تلامس شِغاف القلب .

ولذلك يمكننا القول إنّ الطبيعة ملهمة الشّعراء فهي تمدّهم ببحر غزير من المفردات التي أُلبستْ دلالاتٍ ومعانيَ جديدةً لتعبّر عمّا يجول في خواطرهم . والشّاعر عبدالله سكريّة ابن بيئة ريفيّة جميلة تركت الكثير من التّجليات في نفسه فراح يستدعيها مؤنسنًا عناصرها ، فاتحًا صدره على مجازاتها مُستنطقًا جمالاتها ، هائمًا في ربوعها . ويتجلّى الحقل المعجمي للطّبيعة في كثير من المفردات المنثورة في جنبات هذا الدّيوان حيث يقول الشّاعر :

أشتمّ عطرَ ورودٍ من جدائلها
يا عطرَ من نُسجتْ ، في شَعرها ، الصّورُ !(م.س ، ص132)

فهذا العطر يفوح من جدائل الحبيبة ، ويأتي النداء " يا عطر " ليؤكد التماهي بينه وبين من " نُسجت في شعرها الصّورُ ". إنّ تقديم عبارة " في شعرها " حفّزت في نفس الشّاعر حضورًا قويّا جعلها في سياق تسبقُ نائب الفاعل " الصّورُ " للدلالة على أهميّتها . وحضور الحواس في هذا المقطع يؤشّر إلى اندماج كلّيّ بين عناصر الطّبيعة والحبيبة من وجهة نظر الشّاعر . وفي قوله :

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.154
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

أعانقُ الليل مبهورًا بطلّتها
وفي اللّيالي نُجومُ اللّيلِ ترعاها !
وأحضنُ النّجم . في حِضنيْهِ أنتعِشُ
وفي انتعاشي ، لقاءٌ مع مُحيّاها ! (سكرية ، عبد الله ،2018 ، ص 104)

اللّيل والنّجم من عناصر الطّبيعة وهما مرتبطان بالنّزعة الرومنسيّة بحيث تتوحّد عناصر الطّبيعة مع الذّات، لتكشف تجليّاتها ، ولتنسكب معها في صورة فنّيّة جميلة " أعانق الليل " و" أحضن النّجم " . فالليل والنجم هما صورة الحبيبة الّتي يبصرها الشّاعر متجسّدة في كلّ ما ينير وفي كلّ مصدر للضوء .

وفي مكان آخر يوحّد الشّاعر بين حبيبته و بين الزّهر فيقول :

فيا زادَ الهوى ، يا أنتِ منه
كزهرٍ ، في ربيعٍ ، لا يُسامُ! (سكرية ، عبد الله ،2018 ، ص 124)

إنّ إضافة لفظة " الهوى " إلى " الزّاد " يدلّ على أهميّة الحبيبة كونها تُمثّل جزءا منه " يا أنت منه " . الزّاد مهمٌ للإنسان وهو حاجة ضروريّة لا يمكن الاستغناء عنها لسلامة الجسم ، وكذلك الحبيبة هي بعض من "زاد الهوى " الّذي لا يستطيع الشّاعر الاستغناء عنه لأنّه يلبّي الحاجات العاطفيّة لديه ، " فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان " .

ب ـ الحقل المعجمي للحبّ :

وبالانتقال إلى الحقل المعجميّ للحبّ ، فإننا نجد مفرداته وعباراته على امتداد الدّيوان وكأنّها قلائد تزيّن بجمانها صفحاته . فكلمات مثل " أحبّك ، حبيبتي ، أعشق ..." استدعاها الشّاعر ليعبّر عن خلجات نفسه بكثير من الوجدان والعواطف النّبيلة وغير المبتذلة . ففي قوله :

أحبّكِ ، والنّجومُ بها ائتلاقٌ
أحبّكِ ، والزّهور بها ابتسامُ !
أحبّكِ، والمسايا في ازدحامِ
فراشاتٍ تحومُ ، أو حَمامُ (سكرية ، عبد الله ،2018 ، ص 133)

إن تكرار " أحبّك" ثلاث مرّات في هذا المقطع يدلّ على تأكيد فكرة مؤداها أن استمرارية الحبّ هي التي تخلق في النفس أسباب الراحة والسكينة ، فلطالما " النّجوم بها ائتلاق " ، وهي تومض في جنبات الرّوح، ولطالما " الزّهور بها ابتسام"، فالزّهور وُجدتْ لخلق البهجة في النّفس وعندما تتخلى عن هذا الدّور سيتغيّر اسمها ومعناها ، ولطالما " المسايا في ازدحام "، فإنّ الحبّ باقٍ ومستمر . فالطّبيعة معروف عنها تجدّدها مع الفصول وكذلك الحبّ بارتباطه بعناصر الطّبيعة فهو متجدّد ومستمرّ . إنّ استخدام العبارات الآنفة الذّكر يؤكّد على فكرة مؤاداها أنّ الحبّ ثابت ثبات الوميض في النّجوم ، والابتسام في الزّهور، والازدحام في الأماسي . وهذه حقائق عامّة لا يُمكن تغييرها . وقد حقّق التوازن بين الجمل هدفه في خلق إيقاع يؤنس النّفس عند الاستماع له .وكأن هذا الحبّ يتراقص على وقْع إيقاع ترسمه حال الشاعر المتوثّبة حدّ الفوران .

وفي مكان آخر يؤكّد الشّاعر عشقه مبيّنًا حاله وكأن هذا العشق يرافقه ، وينسرب إلى أعماق نفسه فيتوحّد معها ، ويتماهى بها وهو إلى ذلك فرحٌ به مع ما يسوقه إليه من شقاوة فيقول :

عاشقًا أحيا ، وأبقى عاشقًا
فرحتي ، أنّي الشّقيّ الحامدُ (سكرية ، عبد الله ،2018 ، ص125)

العشق أحد أبواب الحبّ وتكرار لفظة " عاشقًا " مرّتين يدلّ على الحال الوجدانيّة الّتي بلغها الشّاعر . إنّ تقديم لفظة " عاشقًا " في المرّة الأولى على الفعل "أحيا " يدلّ على بروزها في نفسه ، وحضورها المُقدّم على ما عداها . فالشّاعر " يحيا ويبقى " عاشقًا على اختلاف الزّمن في الماضي والحاضر والمستقبل ، وكأن العشق ملازمٌ له في كلّ حالاته. وفي عبارة " الشّقيّ الحامد " طباق ، وقد استخدمه الشّاعر لإبراز المعنى على قياس " والضدّ يُظهر حسنه الضّدّ " وبمثل قول الجواهري : " طُهر الملائك من رجس الشّياطينِ".

3ـ الصيغ النحوية ودلالاتها

ـ الجمل الإنشائية : وهي الحاملة لمشاعر الشّاعر في انفعالاته وغضبه وهدوئه . وتكتنز الكثير من الدلالات من تعجب واندهاش وتحيّر واستغراب وإنكار . . .

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.154
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

وفي اتحاد مع الحبيبة نرى الشّاعر يطلب منها أن تكون كلّ شيء جميل " كوني الرّبيع .. كوني الورود .. كوني فضاء .. كوني أنا .. كوني لنا الجار .. كوني الدواء .. كوني لنا .." في هذه الجمل الإنشائيّة بصيغة الأمر المحبّب ، والذي يتبعه التّعليل ، خير دليل على التّماهي والاتحاد مع الحبيبة .

كوني أنا ، وأنا لو كنتُ دارتكِ

طابتْ بعيشٍ لكِ الأيامُ ، يا دارُ(سكرية ، عبد الله ،2018 ، ص 113)

فهو يتمنى أن تسكنه الحبيبة ، وما الدّار إلا تعبير عن أنس السّكن بين ضلوع الحبيب ، هذا السّكن الّذي يحتله احتلالا محبّبا فلا يستطيع الخروج منه .

ونلاحظ في ديوان الشّاعر غلبة للجمل الإنشائيّة بشقّيها الطلبي وغير الطّلبي ولعلّ ذلك مردّه إلى الحال الوجدانيّة الّتي وُجد بها الشّاعر فكثُرت أساليب الاستفهام وتنوّعت وكذلك الأمر والنّداء والتّحضيض وغيرها .

في قصيدة " يا لائمي " يقول :

يا لائمي في هواهُ، والهوى قدَرُ ،

هل ينبتُ الزّرعُ ، لولا عشقُهُ المطرا؟ (سكرية ، عبد الله ،2018 ، ص72)

هذا الإيقاع الموحي يذكرنا بالموشحات ذات النّزعة الغنائيّة . ففي رأيه " الهوى قدر " لا يُمكن الهروب منه وبالتّالي لايصحّ لوم المحبّ على هواه . وهنا نستذكر الشاعر نزار قباني عندما يقول :

وكيف أهرب منه ؟ إنه قدري هل يملك النّهر تغييرًا لمجراه ؟

فالنّهر لم يكن مخيّرًا عندما انساب في مجراه بل كان خاضعًا لجاذبيةٍ فرضت عليه الاختيار .وكما أنّ النهر خاضعٌ لسُنن التّكوين كذلك الشّاعر لا يستطيع تغيير قدره بخضوعه لهذا الحبّ الذي يجذبه إليه بكلّ كيانه .

وبالعودة إلى شاعرنا نجد أنّ " الزّرع " مرتبط بنزول المطر فهما يرتبطان بعلاقة سببيّة ، إذ لولا وجود المطر لما نبت الزرع وأينع . وعشْق الزرع للمطر يتأتى من حاجته له لـ" ينبت " . وهذا يعني حاجة المحبّ للحبّ لتكتمل أدواته ، وليستمرّ في الحياة وإلا سيكون مصيره الذبول إن لم تتعهّدهُ الأيادي بالاهتمام كما النبات الذي يُحبسُ عنه الماء ، وتُسدّ عليه منافذ الحياة.

وفي جملة استفهاميّة أخرى يُؤمّر الشّاعر " القلب " ويجعله سيدًا للعقل فيقول :

ما يفعلُ العقلُ ؟ إنّ القلبَ سيّدهُ ،

عبدًا يصيرُ ، إذا ما القلبُ قد أمرا (سكرية ، عبد الله ،2018 ، ص 72)

في الجملة الاستفهاميّة "ما يفعل العقل ؟" تظهر حيرة الشّاعر ، واستغرابه من الدّور الذي يؤدّيه القلب بعد أن أبعد وعطّل دور العقل . فالعقل هو المتسيّد والقائم على إقامة التوازن بين العواطف والتفكير المنطقي. ويأتي التأكيد بـ "إنّ" للدلالة على تبدّل الأدوار ، وخضوع العقل لسيادة القلب . فبات القلب هو السّلطان الّذي يحكم ، وفي تقديم خبر صار " عبدًا "وحذف الاسم "العقل" تقرير ضمنيّ بتبدّل الأدوار وانتصار القلب ومشاعره أمام سلطة العقل ، بمعنى أن الهوى نابع من القلب ولا مكان لتحكّم العقل به ، لأنه سيكون جامحًا ولا يرضى الامتثال لأوامر العقل " العقلانيّة والموضوعيّة والحياديّة " ، فالقلب هو مكمن العواطف والأحاسيس ولا يخضع للقواعد المنطقيّة .

وفي قصيدة " لأنّي " نجد الشّاعر يأمر القلب بالغناء فيقول :

غنِّ ، يا قلب ، بحبٍّ واجعلِ الدّنيا تُغنّي (سكرية ، عبد الله ،2018 ، ص 75)

فالغناء مرتبط بحال الإنسان الوجدانية سواء أكانت حزينة أم فرحة . والغناء تعبير عن كوامن النّفس في كلّ أقانيمها . وفي هذا البيت تأكيد على مقولة : اضحك ، تضحك لك الدّنيا " . فحال الإنسان تنعكس على حياته وعلى رؤيته للأشياء ، لأنّ كلّ شيء يُنظر إليه بحسب الحالة النّفسيّة للإنسان . فمنظر الغروب يختلف باختلاف حال النّاظر إليه ، فقد يوحي بالأمل تارة وتارة يوحي باليأس والقنوط . وعليه ، فإن غناء القلب يدلّ على راحة نفسيّة تنعكس بهجة وسعادة على كل ما يحيط بالإنسان .

وفي جملة إنشائيّة بصيغة التّعجّب يقول الشاعر :

ابقوا مع الحبّ لا يغررْكمُ عتبٌ

ما أطيب الحبّ ، يوري طيبَه العتبُ (سكرية ، عبد الله ،2018 ، ص 131)

الشّاهد في الشّطر الثّاني من البيت " ما أطيب الحبّ ، يوري طيبه العتبُ " . فالحبّ لا يكون طيبًا إلا بمقدار ما يخبئه من عتب . فالعتاب يغسل القلوب فكيف إذا كان بين المحبّين ؟ لا شكّ أنّه سيزيد من جذوة الحبّ بينهم .

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.154
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

فالحبّ لا يُستطاب إلا بالعتاب. وهكذا تنتشر الجمل الإنشائيّة في قصائد هذا الدّيوان لتتلوّن وتأخذ معناها من تلوّن الحال النفسيّة التي يعيشها الشّاعر حيث يتنقل بين أقانيم ذاته المنفرجة الأسارير تارة والممتلئة عتابًا تارة أخرى .

4 ـ الصور البيانيّة ودلالاتها

تنتشر الصّور الفنّيّة بكثرة في هذا الدّيوان . فمن التشبيه إلى الاستعارة فالكناية ، تحضر الصّور البيانيّة بكثرة لتعبّر عن المعنى بصورة دقيقة تخلع عن العبارة ثوب الغموض ولكنها تظلّلها ببعض الإيحاءات الّتي تُبعدها عن الرّتابة والنّثريّة القاتلة. فالشّاعر يلجأ إلى الصّور والرّموز عندما تعجز اللغة العاديّة عن حمل رؤاه وتصوّراته بالنّسبة للعالم والكون . ففي قوله:

إن أنتِ سيّدتي ، تهْويْن ما ألقى
فحسبُ همسكِ يَرْعى في شراييني ! (سكرية ، عبد الله ،2018 ، ص 126)

نجد في الشّطر الثّاني استعارة " فحسب همسكِ يرعى في شراييني ". الاستعارة أبلغ من التّشبيه، كونها تشبيه حُذف أحد طرفيه . فكلّما تكثّفت العبارة كانت قادرة على حمل الكثير من الدلالات وعدم حصرها في وجهٍ دلاليّ واحد . وقد استعار الشّاعر لفظ " يرعى " من الماشية ، فالماشية ترعى حيث يوجد الكلأ والماء وحيث الأمن والأمان . فكيف إذا كان " الهمس " هو الذي يرعى في شرايين الحبيب ؟ لا شكّ أنّه سيجد المرعى الخصب والأمن والحبّ في الوقت عينه .

وفي مكان آخر يقول :

" منّي استفاقت دهورٌ، وانحنى الزّمنُ "(سكرية ، عبد الله ،2018 ، ص 123)

فالدّهور استفاقت عندما غذّاها الحبّ وأجج فيها ناره ، والزّمن استرخى وهُزم أمام فعل الحبّ . فالحبّ ليس مختصًّا بفئة دون أخرى ، إنه متجدد بتجدد الحياة ، لا ينكسر أمام إرادة الزّمن التي تفعل فعلها في جسد الإنسان .

أمّا التّشبيه فنراه في قوله :

هذا حبيبٌ كزهر اللوزِ نكهتُهُ
طيّبٌ ، رطيبٌ ، طهورٌ ، ساحرٌ ، لدنُ !(سكرية ، عبد الله ،2018 ، ص 123)

في هذا البيت يشبّه الشّاعر نكهة الحبيب بزهر اللوز ويعود ليعدّد الصّفات التي يتمتع بها " طيب ، رطيب ..." . فالزّهر هو بداية تفتح الحياة وسريان النّسغ في عروقها ، يجذب إليه الباحثين عن الرّحيق فتصير نكهته عسلا مصفّى يستسيغه كلّ من يتذوّقه . وكذلك الأمر بالنسبة للحبيب .

وفي قصيدة " أنتِ العذاب " يقول :

أنتِ العذابُ ، وأنتِ الآه أرشفها
كما ارتشاف هضاب الخير للمطر! (سكرية ، عبد الله ،2018 ، ص 115)

في هذا البيت يقرّ الشّاعر ويعترف بعذابه . وينسب العذاب للحبيبة التي تكررت مرتين في الضمير " أنتِ " ، ولكن بالنسبة إليه فإنّه عذاب محبّبٌ يرشفه " كما ارتشاف الخير للمطر " . من المتعارف عليه أنّ الأرض المزروعة بالخيرات تجفّ وتظمأ إن جافاها المطر، وهي ترشفه بنهمٍ عندما تكون بحاجة له . وكأن الشّاعر يريد أن يقول : لا حبّ بلا عذاب وبلا ألم وخاصّة عندما يوحّد بين الحبيبة والعذاب " أنتِ العذاب". وهو مع كلّ ذلك يرشف الآه بنهمٍ وكأنّه قدر عليه مكتوب.

في هذا الدّيوان يبثّ الشّاعر كلّ مكنونات نفسه ويؤكد أنّ الشّباب هو شباب الرّوح ، وإنْ فعل الزّمن فعلته بالجسد ، فيقول في قصيدة " السّبعون " :

والعمرُ في السّبعين يجري مُسرعًا
والرّوح ثابتةٌ على العشرين(سكرية ، عبد الله ،2018 ، ص 112)

وهذا قمّة التفاؤل ، نجد اسم الفاعل وقد تكرر مرتين في البيت " مُسرِعًا وثابتة "، ومن المعروف أن المشتقّات لا تدلّ على زمن محدد وإنما تدلّ على الاستمراريّة في الحدث. فـ " الرّوح ثابتة " وهذا يعني عدم تقادم الزّمن عليها وهي " ثابتة على العشرين"، وهذا العمر يمثّل قمة الحيويّة والنّشاط . إنّ التضادّ الموحي في هذا البيت " يجري مسرعا " و" ثابتة على العشرين" يؤكد تمسّك الشّاعر بكل ما هو جميل وإن تقدّم به العمر .

وفي ترتيلة أخرى يؤكد الشّاعر انتسابه إلى الحبيبة وإن كان لا يعرف إلى ما سيؤدي هذا الانتساب فيقول :

يا من رسمتُكِ في شمسي وفي قمري
ورُحتُ أبحثُ في عينيكِ عن ذاتي

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.154
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

فيكِ انتسبتُ إلى ما ليس أعرفهُ
تلك الفضاءاتُ كمْ أحيتْ نداءاتي ! (سكرية ، عبد الله ،2018 ، ص 17)

ينتسب الشّاعر هنا إلى الحلم الجميل . وموضوع حلمه الشّمس والقمر وكأنّهما يمثلان الحبيبة . فإذا اكتملت الصّورة وبان رسمُ الحبيبة في الصّورة لجأ الشّاعر إلى عملية البحث عن الذّات . فأين سيجد الشّاعر ضالّته وأين سيجد ذاته ؟ إنّه يبحثُ في عيني الحبيبة عن ذاته، ويسلّم نفسه للحظها من دون أن يعرف المصير الذي سيصل إليه . ولكنّه يستدرك فيقول " تلك الفضاءات كم أحيت نداءاتي " وكأنّ هذا الحلم الجميل هو الذي يُغذّي الواقع ويمدّه بأسباب القوّة والاستمراريّة .

الخاتمة

في خاتمة هذا العرض الذي أبحرنا معه على ضفاف الوجدان والذي تناولنا فيه اللغة الشّعرية في ديوان " قوافٍ على حوافّ العمر " للشّاعر عبد الله سكرية نخلص إلى جملة من النتائج والتوصيات .

النتائج

ـ إنّ الشّاعر عبد الله سكرية قد أجاد رسم أحاسيسه بالكلمات ، وصاغها بأسلوبٍ متين حرص على سبكها في قوالب تناسبها ،وخلع عليها حلّة من الصّور البيانيّة التي أعطتها الحيوية ، وجذبت القارئ من البيت الأوّل حتّى الشّطر الأخير .

ـ الشاعر عبد الله سكريّة يتمتّع بروح الشّباب ولا يهمه تقادم السنين . فروحه روح الشّباب وهذا ما نلمسه حقا في تعاملنا معه واحتكاكنا به .

ـ وجاءت هذه " القوافي على حوافّ العمر " لتؤكّد وبشكلٍ قاطع أن الحبّ لا يموت ، وأنّ جذوته تستعر مع تقدّم العمر وهو على حدّ قول نزار قبّاني :" لو لم نجده عليها لاخترعناه" .

ـ لغة الشاعر كانت لغة رقيقة موحية توسّل فيها إيصال ما يعتمل في داخله معتمدًا على إبراز انفعالاته بأسلوبٍ يجذب المتلقي ويشدّه إلى دائرته والتماهي معه .

التوصيات :

أما التوصيات فهي تتركز على دعوة المهتمين بالشأن الأدبي لدراسة جوانب أخرى في الديوان المذكور أو في غيره ، مسلطين الضوء على شعراء لم ينالوا نصيبهم من الشهرة ولكن نتاجاتهم تذخر بالكثير من الكنوز الأدبية .ففي كثير من الأحيان ينال البعض شهرة زائفة لا تكون متناسبة مع ما قدموه من نتاجات . وهذا ما يصعّب علينا عملية التنقيب وإماطة اللثام عن بعض الكنوز التي غُيّبت عمدًا أو قسرًا .

المصادر والمراجع

1. ريفاتير، ميشال .(1996). دراسات في الأسلوبية البنيوية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب .
2. سكرية ، عبد الله (2018) ، قوافٍ على حوافّ العمر، حمص : مكتبة الرفاعي .
3. فضل ، صلاح . (1992) . علم الأسلوب ، مبادئه وإجراءاته .القاهرة : مؤسسة مختار للنشر والتوزيع.
4. المسدي ، عبد السلام .(1993). الأسلوبية والأسلوب (ط.3). تونس : الدار العربية للكتاب .

References

1. Reviver, Michel (1996). Studies in structural stylistics, Cairo: The Egyptian General Book Authority.
Sukariyya, Abdullah (2018), Edges at the Edges of Al-Omar, Homs: Al-Rifai Library.
3. Fadl, Salah. (1992). Methodology, its principles and procedures. Cairo: Mokhtar Foundation for Publishing and Distribution.
4. Al-Masdi, Abdel-Salam. (1993). Stylistics and Method (i. 3). Tunisia: The Arab Book House.